

عقود الزواج والطلاق وثائق لحفظ الهوية والتراث واسقاط للواقع الاجتماعي والمعيشي في قسنطينة (1827-1845م)

Marriage and divorce contracts documents for the preservation of identity and heritage and the projection of social and living realities in Constantine (1845-1827)

د. سعاد بولجويجة، مخبر التاريخ للدراسات والأبحاث المغاربية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، (الجزائر)

bouledjoudja.souad@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2024 /08/08 تاريخ القبول: 2024 /10/24 تاريخ النشر: 2024 /12/17

ملخص:

أردنا إبراز ظاهرة الزواج كتنظيم اجتماعي، نستطيع من خلال عناصره المتمثلة في: طرفي عقد الزواج (الزوج، الزوجة)، بالإضافة الى الصداق، معرفة ما كان يميز الموروث الثقافي للمجتمع القسنطيني، وأواخر الحكم العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي للمدينة ، انطلاقا مما تحتويه سجلات المحكمة المالكية في قسنطينة التي دونت عليها عقود الزواج والطلاق للفترة السابقة الذكر فما هي أهم الصور التي جسدت لنا ما كان يضمه هذا المجتمع من موروث؟ كيف كان الزواج مرآة عاكسة للمظاهر الاجتماعية؟ ماهي أهم التفاصيل التي يمكن استخلاصها ورصدها بعد دراسة تحقيقية لمضمون عقود الزواج والطلاق؟ ما وجدناه عند دراستنا التحقيقية لهذه العقود المدونة في سجلات المحكمة المالكية نقاط مهمة أبرزت لنا تدور الدور الذي لعبته هذه العقود في حفظ الموروث الثقافي للمجتمع القسنطيني في مرحلة انتقالية من الحكم السياسي.

كلمات مفتاحية: الزواج ، الصداق ، العادات والتقاليد ، اللباس ، الموسيقى

*- المؤلف المرسل

Abstract:

We wanted to highlight the phenomenon of marriage as a social organization, through its elements of: The parties to the marriage contract (husband, wife), in addition to friendship, know what distinguished the cultural heritage of the Constantinople society, the late Ottoman rule and the beginning of the French occupation of the city, based on the records of the Royal Court of Constantine on which the marriage and divorce contracts for the above period were recorded. How was marriage a mirror reflective of social manifestations? What are the most important details to be drawn and monitored after an investigative study of the content of marriage and divorce contracts? What we found in our investigative study of these contracts in the records of the Maliki Court are important points that highlighted us in the role played by these contracts in preserving the cultural heritage of the Constantinople society in a transitional phase of political rule

Keywords:. Marriage, friendship, customs and traditions, dress, music

- مقدمة :

يعتقد الكثيرون أن مدلول كلمة «التراث» يقتصر على الخرائب الأثرية وبقايا كسر الفخار واللقى الأثرية، على رغم شمول التراث على الكثير من الأشياء البسيطة ذات قيمة كبيرة ، كالتحف التذكارية، والحلي، والصور الفوتوغرافية، والمجوهرات، والقطع الأثرية، والتحف الفنية، فكل ذلك يندرج ضمن قائمة التراث، فالتراث بمفهومه البسيط هو خلاصة ما تُخلفه الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، أو ما يُخلفه الأجداد كي ينهل منه الأحفاد، ويُضيف إليه جيل بعد جيل من خبرات حياته .

من خلال الوثيقة التي بين أيدينا -عقود الزواج والطلاق -¹ أردنا إبراز ظاهرة الزواج كتنظيم اجتماعي، نستطيع من خلال عناصره المتمثلة في: طرفي عقد الزواج (الزوج، الزوجة)، الصداق، معرفة مظاهر وصور التي تعكس الموروث الثقافي للمجتمع القسنطيني، ، أواخر الحكم العثماني و بداية

¹ مستخرجة من سجلات المحكمة المالكية بقسنطينة للفترة الممتدة ما بين 1827-1845

الاحتلال الفرنسي للمدينة ، ، فما هي الصورة الواضحة للواقع الاجتماعي بمختلف مظاهره في فترة حرجة عرفت انتقال السلطة من العثمانيين إلى الفرنسيين ؟ وكيف عرفت بهذا الموروث من خلال ما تضمنته من تفاصيل حول العناصر المكونة لعقد الزواج وما تحويه من معلومات ؟

1-تمهيد

عرفتنا هذه العقود بما تشترطه الزوجة مثلاً في صداقها العيني حيث كانت تشترط على الزوج أن يقدم لها أنواع خاصة من الألبسة كالمحففة و القمجة و الحزام و القفطان وغيرها إلى جانب بعض الحلي ، كالجوهر الذي يصنع منه المخبل و المقياس و الأقراط وغيرها والتي لاتزال لغاية اليوم تشترطها عائلة الزوجة القسنطينية على العريس ولا تزال تحافظ عليها على أساس أنها موروث ثقافي متوارث عن الأجداد .

فالزواج حدث عظيم في كل المجتمعات خاصة في المجتمع الإسلامي، من حكمته بناء الأسرة وحفظ الأنساب وتقويم الروابط الاجتماعية، وهو رابط شرعي يلتزم بمقتضاه الطرفان تنفيذ ما اتفق عليه في العقد ويتم عقد الزواج بتحقيق أركانه من إيجاب وقبول، ولي وصداق وشاهدي عدل، فقد حث ديننا عليه لأنه نصف الدين، ودعا إلى تيسيره خاصة ما يتعلق بالمهر وتقدير كل من الزوجين مسؤولية هذا الرابط المقدس وتبعاته.

نتطرق في هذا الصدد إلى إبراز ملامح مؤسسة الزواج في جوانبها الاجتماعية في المجتمع القسنطيني أواخر العهد العثماني، من خلال عينة من السكان القاطنين بالمدينة ، الذين سجلوا زواجهم امام المحكمة المالكية لقسنطينة و قد تضمنت الصداق الذي يعد المدخل إلى مؤسسة الزواج و كذا مكوناته و الشروط الزوجية القسنطينية و طريقة العرس القسنطيني.

2-طريقة الزواج :

التخطيط للزواج و عقده لم يكن عند الزوج لأن الشباب إذا أراد أن يتزوج فإنه لا يستطيع أبداً أن يقيم علاقة شخصية مع فتاة لأنه لا يجد وسيلة لدخول بيت الأسرة، و حيث يسمع

أن لهذا الرجل أو ذاك فتاة في سن الزواج فانه يرسل الوسيطة، إذن فالتخطيط للزواج كان يتم عن طريق الأمهات و العلاقات النسوية التي تسعى بين الطرفين حيث يلتقي النساء سواء في الزيارات المتبادلة في المنازل أو في الحمامات العمومية التي يترددون عليها كثيرا و التي تفتح أبوابها في فترة ما بعد الظهر للنساء فقط.¹ حيث لاتزال هذه العادة إلى يومنا هذا في قسنطينة الطريقة الأكثر نجاحا لتزويج البنات ، وحتى الحمامات هي الأخرى ماتزال تفتح أبوابها للنساء فترة ما بعد الظهر حتى تنهي النسوة أشغالهن المنزلية ، ثم يتوجهن إلى الحمام لإزالة متاعب النهار وللحديث والتعارف أين تنتهي غالبية الأحاديث إلى اختيار البنت المناسبة و الزواج آنذاك كانت له مميزات و شروط فمن مميزات الزواج المبكر في سن 12 و 13 سنة. و كان حيث يبلغن هذا السن نضجن و بلغن سن البكر.²

هنا تنتهي دور الوسيطة بعد قبول الزوج و الزوجة بالتقدم إلى أهل الزوجة و خطبتها من أهلها فالخطبة تمثل في تقاليدنا تمهيدا من الإجراءات التي يقوم بها الخاطب أو أقربائه للاتصال بالمخطوبة و أوليائها من أجل التعرف على العروس و على أسرتها و من أجل تبادل الرضا والقبول بين أسرة الخاطب و أسرة المخطوبة بشأن المصاهرة و التزواج و إقامة العلاقات الطيبة بينهما.³

فالخطبة في مجتمعنا اليوم عبارة عن اتفاق يسبق قراءة الفاتحة و يقع غالبا بين والدي الخطيبين أو أولياء هما و ينتهي بإيجاب و قبول المصاهرة بين العائلتين دون إبرام أي عقد و

¹ سليمان احمد ، تاريخ مدينة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 49
-البكر من النساء: التي لم يقرها رجل .

²ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر،. تع. عبد القادر زبائدة، دار القصبة للنشر، الجزائر ، ص

³عبد العزيز سعد، الزواج والطلاق في قانون الاسرة الجزائرية، ط1 1406هـ/1987م، ص 65

- الفاتحة: هي طريقة ترك مباركة الزواج كل الاشخاص المهتمين و القاضي و الحاضرون يرفعون ايديهم مبسوطة قريبة من وجوههم و يقومون بقراءة صلوات بصوت منخفض رافعين ايديهم الى السماء و ينتهون بتمرير ايديهم على لحهم و كذلك تم عقد الامان و الاتفاق

غالبا ما يكون ذلك غيابيا دون حضور الخطيبين الى مجلس الموافقة بالزواج و إتمام مراسيم الخطبة.

أما الفاضة عبارة عن عقد زواج شفهي وفقا لقواعد الشريعة الإسلامية فيه رضا المتعاقدين الذين يمثلهما ولي الزوجة و الزوج و يتم فيها تحديد الصداق تليه قراءة الفاضة و الدعوات للزوجين و تقديم الصداق¹.

. عشية العرس يأتي أقرباء العريس أمام بيت العروس و بأيديهم الفوانيس و تجلس و ترتدي رداء يلمع بالذهب، و تحمل فوق بغل الى بيت زوجها ، و تصاحبها الموسيقى و تنتهي الحفلة بوليمة. و تصبح الزوجة منذ تلك اللحظة خاضعة لأوامر زوجها².

و كانت الحفلات تختلف حسب الظروف المالية للعائلات و حسب المجموعة الاجتماعية المعنية، و ربما كما هو متوقع حسب التنوع المدني و الريفي³.

3-الصداق:

كانت رمزية عقد النكاح بمدينة قسنطينة تبين مدى طبيعة التقارب بين العائلات، و ترتيب مستلزماته من صداق و فرح و تكافؤ اجتماعي و للصداق عدة مسميات هي: الصداق، المهر،

¹ المرجع نفسه ص 66

² فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 ، تر ، تق أبو العيد دودو ، ص 87

³ ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص 117

الأجر، العلائف، الحباء، النحلة، الفريضة،¹ حيث قال تعالى: "وأتوا النساء صداقهن نحلة

2"

و الصداق يعطى كنوع من التقدير و الاحترام للزوجة و هو ليس ببيع العروس لزوجها بل هدية و هبة خالصة، و للزوجة الحق أن تتصرف كيفما شاءت، لأن الصداق شرط أساسي لصحة العقد بغض النظر عن قيمته و قد دلت السنة على ذلك لقوله صلى الله عليه و سلم : " من كشف خمار إمراته و نظر إليها وجب عليه الصداق ، دخل بها أو لم يدخل "

إن الاعتقاد بان تسجيل عقود الزواج في المحكمة في الفترة العثمانية لم يكون سائدا و إن عقود الزواج كانت تتم مشافهة و إن التدوين من سمات العصر الحديث و إن القرن العشرين بعد الاحتكاك مع الغرب، أو مع الإدارة الاستعمارية يعد اعتقادا خاطئا، ذلك لأن سكان عاصمة إقليم بايلك الشرق (قسنطينة) كانوا يترددون على المحكمة لتسجيل العقود، و قد تضمنت عقود الزواج هذه العديد من الأمور منها الصداق و مقداره بالتفصيل (معجله، مؤخره، ملحقاته) . و إلى جانب ذلك تضمنت العقود قوائم من الحلي و الملابس، و هي إضافات اختيارية مكونة للصداق، و تعكس عادات قسنطينة في هذا المضمار³.

3-1- مكونات الصداق القسنطيني: جاءت مكونات الصداق القسنطيني على قسمين أولهما يتمثل في المبلغ المالي الذي اصطلح عليه باسم النقد. أما القسم الثاني فيتمثل في ملحقات الصداق من ألبسة و حلي.

¹ فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة المدينة والمجتمع، رسالة دكتوراه دولة، تاريخ حديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة تونس، 1999، ص 294-

(نحلة: هبة من الله الى النساء فريضة لهن على الازواج) انظر ابن منظور ، ص 186

² سورة النساء الاية 04

³ قشي، المرجع السابق، ص 295

-الريال: عملة اسبانية متداولة من اوائل العهد العثماني وزن 10 غرامات فضة، (ينظر، ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع- الجزائر 1979، ص 201

1-1-3 -المبلغ المالي: فالمبلغ المالي يمثل الشطر الأول من الصداق و المسمى العقد تسمية صحيحة و تراضى عليه الزوجين، و يأتي لفظه في نص العقد "... على صداق قدره..." و كانت العملة التي ورد بها في العقود هي الريال، حيث لم نجد عملة غيرها في السجلات المدروسة إلى غاية سنة 1845 تم تظهر عملة الفرنك الفرنسية خاصة في السجل الأخير في حدود سنة 1856 و ارجع السبب في هذا الأمر إلى المحافظة على العرف الاجتماعي و حماية قيمة الصداق و منعها من التأثير بارتفاع و انخفاض العملات التي كانت مستخدمة آنذاك¹ و يمكن استخلاص أن المبلغ المالي للصداق يكشف عن النمط السائد آنذاك بمجتمع مدينة قسنطينة و مستواه الاجتماعي، فكلما كان المبلغ النقدي للصداق معتبرا كلما تكون مكونات جهاز العروسة معتبرة أيضا².

3-1-2-لواحق الصداق: و تمثل الجزء الثاني من الصداق و يأتي ذكرها في نص عقد الزواج بعد المبلغ المالي، و هي مجموعة من الألبسة التي تلبسها المرأة في بيتها، و تظهر بها أمام باقي النساء في المجتمع القسنطيني خاصة المناسبات و الأفراح، و كذلك حياتهما الأسرية، و كانت أحيانا تذكر في نص العقد و ذلك ربما لتفادي حصول أي نزاع حولها بين أطراف العلاقة فيما بعد.

و يمكننا الإستنتاج إن المبلغ المالي للصداق و قيمة لواحقه تبين مكانة الأسرة و ما تملكه من ثروة فهو يعتبر من بين الرموز التي تحدد حقيقة الفوارق الاجتماعية بالمدينة.

4 أنواع الألبسة والحلي:

¹ حماش خليفة ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث

قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006 ، ص 355

² عائشة غطاس، "الصداق في مجتمع مدينة الجزائر 1672-1854"، مجلة انسانيات، العدد 4، 1998،

كانت للمرأة مكانة خاصة و متميزة في العهد العثماني سمح لها بالاهتمام بمنظرها الخارجي إذ اتبعت في زيها و أناقتها المرأة التركية، و تأثرت بطراز اسطنبول الذي جلب إلى الجزائر بواسطة المبعوثين و العائدين منها قصد أداء مهماتهم التي كلفوا بها، و كانت نساء بايلك الشرق شديداً الرغبة في استعمال الروائح و الأطرزة المزركشة و التركيبات العطرية.

-فالمرأة في بايلك الشرق معروفة بأناقتهما و حبها للعطور و النباتات التزينية و هي متعلقة بعادة تقطير الورد و الزهر في كل عام، و ذلك خاصة في عهد البايات، و يكون موعد التقطير في فصل الربيع مرفوقاً بإقامة الولائم و الأفراح كتعبير عن الاحتفاء بهذا الموسم، و يستعمل ماء الزهر و الورد في تحضير بعض الحلويات و الأكلات و التقطير فوق القهوة لإعطائها نكهة خاصة¹. ولا تزال هذه العادة إلى يومنا هذا يقوم بها سكان قسنطينة موسم الربيع بالقرب من البريد المركزي ومقابل ساحة لابراش .

يعتبر اللباس عنصراً أساسياً من عناصر الحضارة الإنسانية و تعبيراً صادقاً عن حضارة أي أمة و مرآة صادقة لمكونات أي شعب من الشعوب في أي فترة كانت كما يعرفنا عن الاجتماعية و الاقتصادية و يبين لنا نمط المعيشة و ذوق العصر بالإضافة إلى الاطلاع على طبقات المجتمع و مستوياتها الصناعي و التجاري و الفني و الاجتماعي². يتوجب على المرأة الحضرية أثناء خروجها من منزلها لقضاء حاجتها وضع الحجاب فتتلحف "بحايك" تغطي به جسمها كاملاً و قد فرض هذا الحجاب على كل النساء مهما كانت جنسيتهن، فالمرأة المسلمة تضع "حايك" ابيض اللون و تغطي وجهها بقطعة قماش لا يظهر منها سوى العينان بينما المرأة اليهودية فقد خصص لها اللون الأسود و كانت بذلك تتميز عن النساء الأخريات ، و بالنسبة للمرأة الزنجية فتتجلبب هي كذلك بحايك يخالف حايك المرأة المسلمة و اليهودية و

¹ محمد عثمان ، صفحات من تاريخ ومعالم قسنطينة ، مكتبة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة ، الدار المصرية للكتاب ، ط 1 ، 2013 ، ص 44

² شريفة طيان ، ملابس المرأة الجزائرية بمدينة الجزائر ، دراسة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 1990-1991 ، ص 27

يكون في أغلب الأحيان أزرق سماوي و تلتقي الزنجية مع اليهودية في عدم تغطية وجهها¹، و جرت العادة أن تذهب المرأة مرة في الأسبوع إلى الحمام الشعبي و هي مناسبة تظهر فيها الأزياء و تعرض أثناءها النساء ما تملكه من حلى و جواهر²،

و من المؤثرات الخارجية على الزي المحلي نجد أساسا بعض التقاليد الأندلسية و التركية التي أضحت سائدة في المجتمع الجزائري. و ذلك بفضل قدوم المهاجرين الأندلسيين منذ أواسط القرن 9هـ/15م و مجيء جماعات من الأتراك العثمانيين منذ القرن 10هـ/16م و هذا ما سمح بانتشار عاداتهم و تقاليدهم التي أضحت رفدا حضاريا قويا في أنماط الحياة و طريقة العيش فيما يتعلق بلباس المرأة الجزائرية و عليه أصبح اهتمام المرأة في الأيالة الجزائرية عامة و في بايلك الشرق خاصة منصبا على زي المرأة الأندلسية و طريقة لبسها الذي كان خلاصة امتزاج حضاري بالأندلس و للتقاليد البغدادية العريقة و المتمثلة خصوصا في السروال الأبيض و الذي يستر أسفل جسمها و الحايك الذي يلفها من الرأس إلى القدم، النقاب للوجه، القميص المصنوع من الكتان و القطن و تنحصر معظم هذه التأثيرات الخارجية في ملابسها أكثر و التأثيرات التركية قد انحصرت في المراكز الحضرية و المدينة بينما تقل أو تكاد تنعدم في المناطق الريفية إلا أنه على الرغم من التأثيرات الخارجية بقي اللباس المحلي يتمتع بخصوصية و قد سجل حضوره في الأوساط المحلية على الرغم من منافسة اللباس التركي³

فمن مظاهر لباس المرأة في بايلك الشرق الملفت هو ارتداء الملاية في تنقلاتها خارج البيت و هي عبارة عن ملحفة سوداء و يقال أنها ارتدتها حزنا على موت صالح باي الذي كانت

¹ طيان، المرجع السابق، ص 14

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁴ طيان، المرجع السابق، ص 06

له شعبية و منزلة خاصة لدى أهالي قسنطينة¹. ولوقت قريب لازالت الملاية ترتديها المرأة القسنطينية ، ولو دققنا أكثر نجد ولحد الساعة تلبسها خاصة النساء كبار السن اللواتي تعودن عليها ويرفضن لبس الحجاب أو الجلابية .

اختلف لباس المرأة الحضرية كثيرا عن لباس المرأة الريفية في البايك فقد تميزت المرأة الحضرية بلبس² الحايك الذي يصنع عن الصوف أو الحرير وتستخدمه المرأة لتستر نفسها عند خروجها، فلا يوجد ما هو أفضل منه في توفير الدفء بالرغم من خفة وزنه ، و يظهر الحايك في الوثائق بالوان مختلفة منها الأبيض والأحمر وهذا النوع من الملابس يوجد بكثرة في عقود الزواج الصداق، و عقود الهبات و التركات و إلى جانبه توجد القندورة أو الجبة والتي يصفها بعض المؤرخين بأنها أهم الأثواب .

مثال 1: عقد مدون في شهر شوال 1256 هـ - 1840 م.

الحمد لله وفيه تزوج إسماعيل ابن خوجة فاطمة بنت حسين ثيبا منقضية العدة من طلاق وثبت ذلك لدى شاهدي الثبوت التام، أصدقها مائة ريال واحدة وملحفة، قمجة، قفطان، حزام، ينقد لها شطر العدد مع القمجة وزاد بها عشرين ريال في الجرية والباقي بذمة زوجها وقبل الزوج ملتزما بمعاشرة والدتها عائشة والمعرفة التامة بينهما.

مثال 2: شهر ربيع الثاني 1259 هـ

عقد زواج أحمد بن خوجة بن مصطفى إسماعيل بفاطمة بنت محمد بن خوجة بكرا بالغا، أصدقها مائة ريال، ملحفة، قمجة، قفطان، حزام، أمة من الوسط الصالح للخدمة.

خليل بن إسماعيل محمد المسيح

³ محمد عثمان، المرجع السابق ص 44

⁴ محفوظ سماتي، الامة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر، محمد الصغير بنائي، عبد العزيز بوشعيب،

منشورات دحلب ، ص 76

4-1-القمجة: لقد حازت القمجة على المرتبة الاولى في عينة الدراسة ضمن الشروط المضافة للصادق حيث تم ذكرها في 61 عقدا، و تراوح سعرها في السوق ما بين 10 أريله و 50 فرنك بينما كان سعرها ما بين 1203 (1208/هـ) (1794/1788م) ما بين ريالين و 15 ريال. أنها التسمية المحلية للباس الداخلي النسوي او القميص و هي لباس من قماش خفيف و لين، بدون ذراعين قد تضاف له أكمام من شاش أو ما شابهه¹.

تتبع اللباس الخارجي القندورة في الطول و العرض و لا تزيد عنها².

تفصل القمجة على شكل مخروطي ضيقة من الأعلى و عريضة من الأسفل أحيانا تكون الرقبة مربعة الشكل و الملاحظ على القمجة أنها تطورت من حيث الشكل و نوعية القماش و كذا التطريز فأحيانا تكون مصنوعة من القطن، و الحرير، و الساتان، و يتغير تصميم القمجة من موسم لآخر فالقمماش الدافئ يرتدي في الطقس البارد و العكس³ وإلى يومنا هذا ماتزال القمجة من المقتنيات التي تشرط على أهل العريس إحضارها للعروس في الجربة وتكون باللون الأبيض دلالة على نقاء الروح و شرف الزوجة .

4-2-الملحفة: بمعنى اللحاف. أو ما تلتحف به المرأة عند خروجها من البيت و هي تلبس فوق القميص ليغطي شفافيته و قد جلبه الأندلسيون معهم و أصبح يعرف بالحاك⁴، و هي عبارة عن قطعة قماش بدون خياطة بها ثنيات فضفاضة تشد إلى الكتفين بمشبكين ، و لقد أدخلها الأندلسيون إلى الجزائر عند فتوحات المرابطين للأندلس فلبستها المرأة هناك، و ظهرت في الوجود مرة أخرى عند قدوم الأندلسيين إلى بلاد المغرب، و أصل الملحفة بدوي و

¹ فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 305

² المرجع نفسه ، ص 305

³ نفيسة لحرش، تطور لباس المرأة الجزائرية ، دار النشر انوثة، ط1، الجزائر، 2007، ص 77

⁴ فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 303

يبدو أن المرابطين أخذوه معهم من الأندلس إلى بلاد المغرب¹ و لونه أبيض و يصنع من الحرير المخمل و المرمة، في نهاية القرن 18 ذكرت أكثر من 10 أنواع من الملاحف².

و هو لباس تقليدي بالنسبة لمدينة فسنطينة تحت اسم الحايك و كان يلبس معه أيضا، العجار، فالحايك ذو قيمة حضارية، حيث كانت العروس القسنطينية لا تغادر بين أهلها لتزف إلى بيت زوجها إلا بارتداء هذا اللباس التراثي، و كان يصنع أحيانا من الحرير المزين بخيوط الذهب و الفضة، غير أن هذا النوع كان محصورا عند بنات العائلات الميسورة الحال فقط بينما كانت بنات الكثير من العائلات البسيطة تقوم بكراء ثوب الزفاف و كان بلون أحمر بقيمة 1 ريال ثم يتم إرجاعه بعد نهاية حفل الزفاف وهو حال الكثيرات من بنات اليوم اللواتي يقمن بنفس العملية غير أن لون الثوب أبيض لا أحمر³.

و في وصف نساء قسنطينة و لباسهن يقال أنهن يملكن ذوقا رفيعا في الهندام و الزينة و يعرفن بفن التناسق بين الألوان و ملائمتها لأيام الأعياد و الأفراح. فهن فنانات بآتم معنى الكلمة في استعمالهم للحايك⁴.

3-4-الحزام: كان يلبسه الرجل ثم قلده المرأة فأصبح للجنسين و الأحزمة عموما متنوعة فمنها الجلدية و القماشية التي كانت تطرز بالفضة و الذهب و الحرير، و يعد الحزام من تبعات القفطان لأنه ضروري لشد القفطان عندما يكون طويل حتى لا يلمس الأرض، و للحزام مكانة خاصة في مكونات الصداق، و له رمزية استثنائية و يكتسب معنى قوي في ربط العروس بعائلتها الجديدة⁵.

¹ طيان، المرجع السابق، ص 28

² قشي، المرجع السابق، ص 304

³ نفيسة لحرش، المرجع السابق، ص 49

⁴ المرجع نفسه، ص 49

⁵ قشي، المرجع السابق، ص 306

و لا تزال مدينة قسنطينة إلى اليوم، محافظة على عادة تحريم العروسة بالمحزمة التي أصبحت من الذهب الخالص من قبل أخ الزوج أو أي شخص من شباب العائلة، و غالبا يشترط أن يكون إسمه محمد أو أحمد أو محمود تبركا باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، و يكون ذلك في اليوم السابع من حفل الزفاف، فإذا تحزمت العروسة فهذا دليل على شروعها في حياتها الجديدة. و تحمل مسؤولية بين زوجها، لتكون العلاقة وثيقة و وطيدة بينهما¹.

و يعتبر الحزام كذلك من أدوات الزينة كما أن ارتدائه قد يدرج من زاوية التباهي و التفاخر بغرض إظهار الثراء، و هو عبارة عن رباط تشد به المرأة لباسها من جهة الخصر، و قد يكون الحزام من حبات اللوز المخيطة على قطعة قماش سوداء، إلى وقت قريب جدا لازالت نساء قسنطينة يحافظن على هذا النوع بالذات ، ينتهي الحزام في أحد جانبيه بحلقة معدنية بها زخارف تسمى حاليا بفم المحزمة مقاسة فيما يخص الطول حوالي 1,56م اما العرض فيقدر ب0,09م و سعره يتراوح ما بين 10 و 15 ريال².

4-4-القفطان:هو نفسه قفتان و خفتان في اللغة التركية و اللفظة الثانية هي كلمة فارسية و هي عبارة عن لباس خارجي له شهرة واسعة في الدولة العثمانية³، كما انه عنصر من العناصر المهمة في لواحق الصداق⁴. و قد ارتبط بلباس الأمراء و الخلفاء و هو غالبا ما يكون من الحرير المرصع بالفضة و لهذا كانت رمزية القفطان قوية لان العروسة تشبه بالسلطان فوق عرشه بكسائها الفاخر هذا و يذكر هايدو أن القفطان كان يلبس فوق الروب أو

¹ المرجع نفسه ، ص 306

² طيان، المرجع السابق، ص 116

³ حماش خليفة، المرجع السابق، ص 239

⁴ شريفة طيان، المرجع السابق، ص 106

القندورة أو الجبة و يشبه لباس القديس و هو مفتوح من الأمام و مزين بالقفل على الصدر و له ذراعان قصيران إلى حد المرفقين و ينزل إلى وسط الساق و ربما كان أطول¹.

و عادة يشترط على أهل الزوج أن يكون القفطان من أقمشة مختلفة يكون واحد منها مطرزا بالذهب و يطالب ان يكون جاهزا قبل يوم الزفاف لأنه هو لباس العروس يوم عرسها². وهو ما تحول تدريجيا في قسنطينة إلى قندورة النساء الحضاريات و يصفونها بأنها فضفاضة و بلا أكمام ومتعددة الألوان و تصنع من المخمل و الحرير، و قد ورد لفظ القندورة في عدة عقود منها عقد في محرم 1239هـ ذكر فيه "....الحمد لله توفيت و عصيها جانب بيت المال لا وارث لها في علم الشاهدين و انحصر مخلفها في لحاف و مطرح و حايك و محرمتان و قمجة و قندورة..."³.

وهي ما تعرف حاليا بالقندورة القسنطينية – قندورة المعبود والفتلة والتي لا تزال إلى يومنا هذا تأخذها العروس في جهازها أو كما يسميه القسنطينيون في الشورة ، وهي مقصد للعديد من النساء من مختلف أنحاء الوطن نظرا لعراقتها وأصالتها من بين الألبسة التقليدية المتوارثة في مدينة قسنطينة والتي لازال سعرها مرتفعا إلى يومنا هذا .

4-5-الجوهر: إن وجود الجوهر في مكونات الصداق ليس بأمر غريب. إنما الذي بلغت الإنتباه هو كون الحلي الذهبية و حتى الفضية كانت غائبة عن قائمة الصداق الرسمية فأوقية من الجوهر أو قيمتين في الكمية المتعارف عليها و المتداولة رمزا للحلي⁴.

فالجوهر حجر كريم تحدث عنه المسلمون منذ زمن مبكر و يعد من أغلى اللواحق التي تبعت الصداق في مدينة قسنطينة⁵، ولا يزال استخدامه في قسنطينة إلى يومنا هذا وهناك الكثير

¹ قشي، المرجع السابق، ص 307

² طيان، المرجع السابق، ص 155

³ صرهودة يوسف، معاملات و مبادلات اقتصادية في قسنطينة اواخر العهد العثماني، ماجستير في

تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة، 2004-2005 ، ص 38

⁴ نفسه، ص، 311

من محلات بيع الذهب التي تعرض الجواهر بمختلف أشكاله وخاصة لصنع السخاب وهو من أشهر الحلي القسنطينية وأغلاها قيمة .

فقد كان من أدوات الزينة و الحلي كذلك الخلخال و هو شبيه بالأساور التي تلبس باليد غير انه يلبس بالقدم و في طرفيه يوجد رأسي ثعبان و هو مصنوع من المعادن النفيسة كالذهب و الفضة و الخلخال رائعة في التصميم و النقوش، وهي الأخرى من الحلي المتوارثة إلى يومنا هذا وتعنى به العائلات الثرية فقط ، و كانوا في بعض المناطق يلبسون الخلخال إجباري عندما تبلغ سن الرشد و لا تخلعه إلى غاية يوم الجرية، أين ينزع لها خلخال بيت والدها و يلبس لها خلخال بيت زوجها¹.

- في الأخير تعرفنا على بعض الخصائص الاجتماعية التي تميز بها الزواج القسنطيني أواخر العهد العثماني فكشف لنا قيم الصداق المتداولة بين مختلف الشرائح الاجتماعية على المستوى المعيشي للسكان و معرفة عادات و تقاليد المجتمع من خلال التعرف على نوعية الألبسة المتداولة إلى مثلث لواحق الصداق كما حرصت الهيئة القضائية على حقوق المرأة بأخذ حقها من زوجها من خلال شروطها عليه.

أما بالنسبة للباس نساء الأرياف او المرأة الفلاحة في البادية قال سبنسر ويليام : بأنها تلبس حايك و تحته قميصا و سراويل و قد تحول الجزء الأعلى من الحايك إلى أشكال من الكيس و ذلك بقصد حمل الأولاد الصغار و يغطي رأسها بقطعة قماش قد تخللها خيوط ذهبية و

⁵ حماش خليفة، المرجع السابق، ص 282

- الجرية: عبارة عن حفلة تعارف بين عائلة الزوجين، يقدم فيها للعروس جهازها و بعض الهدايا من اهل زوجها و تكون بعد الخطبة و قبل الدخول و يتم تحديد موعدها باتفاق بين العائلتين و توصلت الدكتورة قشي الى انها اعادة مستحدثة لهذا هي قليلة الظهور (ينظر: قشي المرجع

السابق، ص 312)

¹ نفيسة لحرش، المرجع السابق، ص 143-144

فضية و تلبس معها قطعة مثلثة من القماش قد زركشت و بالإضافة إلى ذلك نجد "الشال" تزين به المرأة في بيتها و هو كثير الألوان و في وسطه شريط لكي يساعد على تثبيته و يستعمل هذا الشال المصنوع من الصوف كأداة للتدفئة في أيام الشتاء، و يكون لونه احمر أو ابيض¹.

و تغطي المرأة الريفية رأسها بمنديل منسوج بطريقة جيدة بخيوط ذهبية و فضية كما تضع معه قطعة قماش مثلثة الشكل مصنوعة من الكتان و مزخرفة بطريقة فنية عالية تشد هذه القطعة مؤخرة الشعر بحيث يظهر منه خصلة و من عاداتها ان تترك شعرها طويل يصل بعض الأحيان إلى الأرض².

جدول رقم 1: خاص بأنواع الملابس المنتشرة في الإقليم الشرقي من الأيالة الجزائرية

نوع الثياب	مما يصنع	سعره	ملاحظات
الحايك	الصوف	10 أريلة	تستعمله النساء
الترخيمة	/	08 أريلة	تستعمله لتغطية الوجه
قندورة	المخمل/الحرير	02 أريلة	تلبسها المرأة
برنوس	الصوف	08 ريال إلى 30 ريال	بمثابة المعطف للرجل
شال	الصوف و الحرير	/	للنساء
قفطان	الحرير	02 ريال إلى 50 ريال	/

¹ يوسف، المرجع السابق، ص 39

² طيان، المرجع السابق ص 164

يعتبر الحلي من اللواحق الضرورية للزخرفة و الجمال نظرا لدوره الهام في الحياة العائلية و الاجتماعية و الاقتصادية للمرأة خاصة أثناء الاحتفالات و الأعراس¹.

إن المرأة الحضرية في بايلك الشرق تمتلك مجموعة من الحلي الثقيلة و الخفيفة من كلا المعدنين الذهب و الفضة فالحلي يعكس انتمائها الاجتماعي فالذهب يدل عل غناها علما انه قليل التواجد نظرا لقيمته الثمينة و الغالية و لعل هذا ما يفسر ظهور الصداق في صورة متواضعة إجمالاً² كما يفسر غياب الحلي الذهبية بأنه كان يستخدم في صناعة العملات إلى جانب انه لا يوجد له مناجم في الجزائر فهو يأتي مع القوافل من السودان. أما الحلي الأكثر انتشارا المصنوعة من الفضة³.

5- الموسيقى :

أما عن الموسيقى الجزائرية فقد عرفت تنوعا و اختلافا ففي الأرياف كانت تعتمد على المعاني أكثر من الأنغام، أما في المدن الكبيرة فالأمر مختلف عن ذلك لان الأندلسيين و العثمانيين الذين استقروا بمدينة الجزائر نقلوا معهم موسيقاهم البديعة و لقد نشأ بمدينة الجزائر خليط من الموسيقى الأندلسية الخالصة النقية و الموسيقى الأعجمية الإغريقية التي أتى بها العثمانيون مع الموسيقى المحلية فتكون من ذلك ديوان الموسيقى الجزائرية التي احتفظ بها أهل الجزائر حفاظا دينيا و تناقلوها لفظا و أنغاما و هي موسيقى علمية فنية واسعة الغنى إلى درجة مفردة.

¹Musée national de arts et tradition populaires , **la vie quotidienne**
Alger, 2007.P.37-38-39

² قشبي، المرجع السابق، ص 311

³ يوسف، المرجع السابق، ص 49

و من هنا اعتبر المجتمع الجزائري في العهد العثماني أن هذه الفنون (الموسيقى) من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها¹، كذلك بالنسبة إلى مدينة قسنطينة على الرغم من وجود الموسيقى المحلية و الأندلسية فقد أدخل العثمانيون بعض آلاتهم و أدواتهم الموسيقية على الطرب القسنطيني.

فالطراز الموسيقي كان من النوع المختار و هو طراز شديد الحدة النغمية و قد أصبح شعبيا في الإمبراطورية العثمانية من طرف الجند الانكشاريين و كان معبرا عن تضخم و قوة العثمانيين و النوع الشعبي الآخر من الموسيقى كان الأندلسي ، و قد جاء به المهاجرون الأندلسيون من اسبانيا ثم امتزج من حيث استعمال الآلات الشرقية في غرفة مثل العود و الرباب و الطار و الناي، و قد ظهرت في تركيبات مواويل الدراويش الأناطوليين على مستوى الأصوات النصف نغمية².

فيطلق على التراث الموسيقي المسمى بالأندلسي في مدينة قسنطينة باسم المالوف و يخلف هذا اللون الموسيقي الكلاسيكي عن بقية الأنواع الموجودة في المدارس الأخرى³. بقي فن المالوف متداولاً بين سكان قسنطينة و المدن الكبرى إلى يومنا هذا ومعروف عراقة و أصالة هذا النوع من الموسيقى في قسنطينة المعروفة بمدينة المالوف ، لأن

¹سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 440. عبارة عن كمان ذي حبلين اثنيين (انظر

ويليام سبنسر المرجع السابق ، ص 121)

² المرجع نفسه ، ص 121.

-المالوف: هو احد انواع موسيقى الطرب الاندلسي، و هو مصطلح يطلق على الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي بقسميه الدنيوي و الديني المتصل بمذاهب الطرق الصوفية ، نشأ في الاندلس و ارتبط، في بعض الاحيان بالمذاهب، و هو لا يتقيد في الصياغة بالاوزان و القوافي (انظر، محمد عثمان، المرجع السابق ص 44) و المالوف مصطلح الفنانين القسنطينيين هو ما اطلق على الموسيقى الاندلسية التي هاجرت من الاندلس و استقرت بقسنطينة فالفها اهلها و اعتادوا عليها منذ العهد الحفصي و قد اشتهرت به ايضا مدن اخرى كعنابة و سكيكدة (انظر: سميرة زغيب، المالوف من الاندلس الى المغرب العربي

دراسة تاريخية و فنية في مدينة قسنطينة، ص 96) محمد عثمان ، المرجع السابق ص 44

الموسيقى التركية ظلت محدودة الإنتشار في أوساط أهل الحواضر لأن الموسيقى الأندلسية كانت أجمل و أرقى من التركية¹

و تعتبر قسنطينة عاصمة المالوف بفنانيتها و فرقها ذات الصيت العالمي و في هذه المدينة يتفرع المالوف لعدة طبوع كالعيساوة و الفقيرات و الوصفان وهذه الطبوع الثلاثة لازالت تستخدمها العائلات القسنطينية العريقة في حفلاتها وأفراحها و أعراسها ولا تزال محافظة عليها وهذا دلالة كبيرة لمدى التمسك بالتراث الثقافي لأهل المدينة المتجدر عميقا في تاريخها .

و أصل كلمة مالوف ،هو" وفي للتقاليد" و يغني باللغة العربية الفصحى و يحتوي على 24 نوبة نسبة إلى ساعات اليوم و لم يطبق منها سوى 12 نوبة بسبب عدم التمكن من الاحتفاظ بكل النوبات بسبب تناقلها شفويا فقط².

إلا أن ظاهرة الموسيقى و الغناء في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، احدث اختلافا حادا بين الفقهاء و رجال الدين و ظلت مطروحة أمام انشغال المفتين و رجال السياسة في القرن 17م بسبب قوة التيار السلفي في المدينة و شيوع التيار الصوفي بها، و قد أثارت هذه الظاهرة حفيظة الشيخ عبد الكريم لفقون حيث استنكر لجوء البعض من أهل التصوف إلى استعمال الموسيقى في المدينة و الانتشاء بمرافقة الآلات الموسيقية و أطلق عليهم جماعة الشرب في زعافهم و آلات طربهم و لهوهم³،

و على الرغم من ذلك، فقد ثبت المالوف في مدينة قسنطينة و ظل أهلها متشبثين بهذا الفن الذي أصبح رائجا بين عامة الناس و خاصتهم، و قد كان العثمانيون يكثرّون من إقامة

¹ عبد العزيز فيلاي و محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة دراسة في التطور التاريخي والبيئة

الطبيعية، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، للجزائر، ط1، ص 46

² محمد عثمان، المرجع السابق، ص 46

³ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 166

الحفلات الشعبية و الرسمية التي تمارس فيها الموسيقى و الغناء، حتى أحرز هذا الفن على كل الاحترام و التقدير¹ ولاتزال قسنطينة ليومنا هذا تعرف بمدينة المألوف ومدينة الحاج الفرقاني أحد أهم فناني هذا النوع من الموسيقى .

خاتمة

إن هوية الإنسان تكتمل بالتراث سواء كان مادياً أم معنوياً؛ فهو ضرورة إنسانية، وأحد ركائز الهوية. والتراث بشقيه المادي والمعنوي يكتسب يوماً بعد الآخر أهميته من كونه مصدراً للفخر بحضارات الأجداد، وبالتالي يُعد الحفاظ عليه والعمل على تنميته خياراً استراتيجياً. ومن المؤكد أن التراث يمكننا من التعرف على طبيعة الحياة بجميع جوانبها فاستعمالنا لما تضمنته عقود الزواج والطلاق من معلومات قيمة كانت انعكاساً واضحاً وجلياً لطبيعة المجتمع القسنطيني بما خلفه من تراث مادي من البسة وحلي وغير مادي خاصة العادات والتقاليد كظاهرة الزواج والموسيقى التي قدمت لنا صورة جميلة للماضي وتصوراً للمستقبل .

المصادر والمراجع

1- الأرشيف

عقود الزواج والطلاق 1845-1827 مستخرجة من سجلات المحكمة المالكية بقسنطينة موجودة بأرشفيف ولاية قسنطينة عددها 11 سجلا .

2-المراجع بالعربية

1- احمد سليمان: تاريخ مدينة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989

¹ نفسه ص 166

- 2- حماش خليفة : الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006 ،
- 3- سميرة زغبب ، المألوف من الاندلس الى المغرب العربي دراسة تاريخية وفنية في مدينة قسنطينة ،
- 4- شريفة طيان ، ملابس المرأة الجزائرية بمدينة الجزائر ، دراسة لنيل شهادة الماجستير في الاثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ، معهد الاثار 1990-1991
- 5- صرهودة يوسف ، معاملات و مبادلات اقتصادية في قسنطينة اواخر العهد العثماني ، ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة قسنطينة ، 2004-2005
- 6- عائشة غطاس ، الصداق في مجتمع مدينة الجزائر 1672-1854 ، مجلة انسانيات ، العدد 4 ، 1998 ،
- 7- عبد العزيز سعد ، الزواج و الطلاق في قانون الاسرة الجزائرية ، ط1 1406هـ/1987م ،
- 8- عبد العزيز فيلاي ومحمد الهادي لعروق : مدينة قسنطينة دراسة في التطور التاريخي و البيئة الطبيعية ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، للجزائر ، ط1 ،
- 9- فاطمة الزهراء قشي : قسنطينة المدينة والمجتمع ، رسالة دكتوراه دولة ، تاريخ حديث والمعاصر ، جامعة تونس ، 1999
- 10- فندلين شلوصر : قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 ، تر ، تق أبو العيد دودو ، وزارة الثقافة ، 2007 ،

11--محفوظ سماتي، الامة الجزائرية نشأتها و تطورها، تر، محمد الصغير بنائي، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب

12-محمد عثمان : صفحات من تاريخ ومعالم قسنطينة ، مكتبة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة ، ط1 ، الدار المصرية للكتاب ، 2013

13-ناصر الدين سعيدوني، و النظام المالي للجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع-الجزائر 1979،

14-نفيسة لحرش، تطور لباس المرأة الجزائرية، ط1 ، دار النشر، انوثة، الجزائر، 2007.

15-ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر. تع. عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر ،

16- المراجع بالفرنسية

17-¹Musée national de arts et tradition populaires : la vie quotidienne Alger, 2007.